

في حوار مع الدكتور أحمد ثابت : المنطقة تمر في مرحلة انتقالية خطيرة.. 1/2

08-12-2003

والشيء الذي تخشاه واشنطن اليوم هو إمكانية حصول كل من المقاومة في فلسطين والعراق على دعم لوجستي من الدول العربية الأخرى، وإيجاد قنوات لوصول السلاح والمال إلى المجاهدين هناك، مما قد يؤدي إلى عملية استنزاف حقيقية لكلا المشروعين الأمريكي والصهيوني في المنطقة العربية.

بقلم محمد سليمان

ارتبط الاحتلال الأمريكي للعراق بسعي الولايات المتحدة لترميز مشروعها في المنطقة، بما يحفظ مصالحها الحيوية الرئيسة وأبرزها النفط وإسرائيل، من خلال بناء إجماع استراتيجي يشمل دول المنطقة باستثناء الدول المارقة - في التصنيف الأمريكي - والتي كان يجري الإعداد لمخططات ترويضها.

ولإنجاح المشروع الأمريكي وضمان هيمنته على المنطقة تم الإعلان عن خارطة الطريق، والتي ستتفكك بوضع جدول زمني لإنهاء الصراع الفلسطيني في ضوء التغيرات الجديدة، والتي تميل لصالح الكيان الصهيوني الحليف السياسي والثقافي للولايات المتحدة في المنطقة، وبدا - لعدد من الخبراء والاستراتيجيين - وكأن الهدنة التي أعلنتها الفصائل الفلسطينية تسير في اتجاه الخضوع الكامل للمشروع الأمريكي.

وبدأت الدول العربية تراجع حساباتها وتعيد ترتيب أوضاعها بما يتناغم مع الترتيبات الأمريكية الجديدة، والشروط التي وضعتها أمريكا على هذه الدول لتدخل إلى بيت الطاعة الأمريكي تماما، وقد حاولت الدول المارقة نفسها إرسال رسائل ودية للولايات المتحدة، تشير إلى استعداد هذه الدول لتقديم تنازلات كبيرة جدا لإرضاء للولايات المتحدة وتجنباً لمصير النظام العراقي، فقد رفضت إيران المقاومة العراقية المسلحة وألزمت الشيعة بالنهج السلمي، وأعلن خاتمي أن المقاومة المسلحة متطرفة، ووافقت إيران كذلك على التفتيش، وتنازلت عن برنامجها النووي، الذي كان قاب قوسين أو أدنى من الوصول إلى مرحلة الإنجاز - وفقاً للتقديرات الأمريكية -، كما فتحت سوريا قناة خلفية مع الولايات المتحدة، وقدمت مساعدات سخية ضد الحركات الإسلامية، وأرسلت رسائل قوية في استعابها بالتعاون، منها إغلاق مكاتب المنظمات الفلسطينية.. الخ .

في هذا الوقت الذي كانت تبدو فيه الأمور وكأنها تسير باتجاه إتمام الهيمنة الأمريكية والصهيونية على المنطقة جاء تسارع وتيرة المقاومة العراقية وازدياد قوتها ومداهما ليضع حداً لتفاؤل اليمين المتشدد في واشنطن، وليهدد المشروع الأمريكي برمته، ويدفع بالرأي العام الأمريكي وعدد من المثقفين والسياسيين إلى توجيه انتقادات حادة لإدارة بوش ولتهورها في الدخول إلى العراق دون دراسات عميقة، ولضخالة الرؤية الاستشراقية وهشاشة تصوراتها للعراق في ظل الاحتلال.

لقد أثارت المقاومة العراقية الجدل بشكل كبير داخل الولايات المتحدة وأطلق عدد من المحللين الأمريكيين على الوضع الحالي في العراق مصطلح " حرب ما بعد الحرب"، واضطر عدد من القادة الأمريكيين إلى التصريح بحجم قوة وقدرات المقاومة، إلى الدرجة التي وصف فيها رامسفيلد المقاومة بأنها تلقن دروساً للقوات الأمريكية، وكذلك اعترافه بأن القوات الأمريكية ستشهد أياماً عصيبة في العراق. وقد أصدرت منظمة كارنيغي للسلام تقريراً بعنوان " من النصر إلى النجاح " تضمن الإشارة القوية إلى الأخطاء القائلة التي ارتكبتها الإدارة الأمريكية في تصوراتها وسلوكها لمرحلة ما بعد الاحتلال، كما قدمت رند رجم - المدير التنفيذي لمؤسسة العراق في الولايات المتحدة - تقريرها الأول حول الوضع في العراق، والذي يشير إلى مشاكل كبيرة تواجه أسس مشروع الاحتلال لا ترتبط فقط بالمقاومة وإنما بطبيعة الحالة الداخلية في العراق.

إذن يبدو أن المقاومة العراقية المسلحة اليوم تقوم بدور كبير على صعيد استراتيجي تتمثل أهم معالمه في مدافعة مشروع الهيمنة الأمريكي والتأكيد على بقاء إرادة الأمة في المقاومة والتحرر والاستقلال، ولذلك فخطورة المقاومة العراقية لا تقف عند حدود العمليات المسلحة ضد القوات الأمريكية إنما خطورتها الأساسية تتمثل في أنها تعيد تعبئة الروح المعنوية للإنسان العربي، وتشكل رادعاً قوياً ومانعاً ذا وجهة من استبداد روح الهزيمة والاستبداد في الواقع العربي وانتقالها من الأنظمة إلى الشعوب . ويمكن القول في هذا السياق أن المنطقة العربية اليوم تعيش في مرحلة انتقالية بين مشروعين: الأول هو مشروع الإذعان والقبول بالهيمنة الأمريكية والإسرائيلية والثاني هو مشروع التحرر والاستقلال والنهضة .

لإلقاء الضوء على الأثر الاستراتيجي للمقاومة العراقية وعلى آخر التطورات في المنطقة أجريت الحوار التالي مع الدكتور أحمد ثابت، أستاذ العلوم السياسية في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة، وهو أحد الباحثين السياسيين المتخصصين في هذا المجال وله العديد من المساهمات المعرفية والفكرية وأبرزها كتابه الأخير " حصاد التفاوض " (الصادر عن دار وائل للنشر في عمان)، وقد تركز الحوار مع الدكتور ثابت في ثلاث نقاط أساسية :

- أثار المقاومة العراقية على الصعيد الداخلي والإقليمي والدولي.

- وثيقة جنيف وتداعياتها المتوقعة

- العلاقة الارتباطية بين المقاومة العراقية والانتفاضة الفلسطينية ..

-1-

الآثار الاستراتيجية للمقاومة العراقية

لعل من أهم الآثار الداخلية للمقاومة العراقية هو وضوح حالة الرفض من قبل مختلف طوائف الشعب العراقي للاحتلال الأمريكي، ودحض مختلف مزاعم إدارة بوش حول الديمقراطية والحرية والليبرالية والتي تأتي وفق المقياس الأمريكي. ويضاف إلى ذلك عدم انخداع الشعب العراقي والقوى السياسية والتيارات الفكرية والدينية المختلفة بهذه الشعارات، والتي لا تعني سوى فرض الاحتلال.

والأهم من ذلك أن تنامي المقاومة العراقية يشير بشكل واضح إلى إحباط مخطط الولايات المتحدة في الوصول بالعراق إلى الحرب الأهلية بين الطوائف والفئات المختلفة بين السنة والشيعة والأكراد والعرب والمسيحيين، بحيث تبقى قوات الاحتلال أطول فترة ممكنة بزعم أن وجودها ضروري لوقف الحرب الأهلية المتخيلة. وهذا ما لم يحدث؛ لأن المقاومة العراقية تشكل نواة وحدة لكافة الفصائل تحت راية التحرر ورفض الاستعمار والعمل على إنجاز الاستقلال وصيانة الكرامة. وعلى الرغم أن غالبية قيادات الشيعة لم ينضموا حتى الآن إلى المقاومة، إلا أن ذلك لم ينتج عنه صدمات بين السنة والشيعة، أو اتهامات تصل إلى درجة التخوين والتصفية والعنف، بل ساد العقل بين مختلف الطوائف، وتم التوافق والتواطؤ على عدم الدخول في مواجهات وصراعات داخلية.

أما الأثر الإقليمي للمقاومة العراقية فقد تجلى في أبلغ صورته بوجود رادع قوي ضد مخطط اليمين الصهيوني بقيادة شارون لانتهاز الفرصة لاكتساح وإبادة الشعب الفلسطيني. كما أن ازدياد حدة ووتيرة المقاومة العراقية أدى إلى تسارع زخم المقاومة الفلسطينية وزيادة الأمل والدعم المعنوي للمجاهدين الفلسطينيين.

والشيء الذي تخشاه واشنطن اليوم هو إمكانية حصول كل من فلسطين والعراق على دعم لوجستي من الدول العربية الأخرى، وإيجاد قنوات لوصول السلاح والمال إلى المجاهدين هناك، مما قد يؤدي إلى عملية استنزاف حقيقية لكلا المشروعين الأمريكي والصهيوني في المنطقة العربية.

على صعيد آخر يمكن القول أن المقاومة العراقية شكلت ورقة مهمة للمناورة السورية والإيرانية في مواجهة الضغوط الأمريكية الكبيرة على هاتين الدولتين، كذلك كشفت المقاومة العراقية ما حاولت العديد من النظم العربية تسويقه بأن الاحتلال الأمريكي للعراق سوف يصرف أنظار الأمريكان عنهم، بل على النقيض من ذلك زادت الضغوط الأمريكية على هذه الدول المحافظة خاصة دول الخليج، الأردن، مصر، المغرب من أجل إذعانها التام للشروط الأمريكية، والقبول بالوجود الأمريكي الدائم في الوطن العربي، وتغيير مناهج التربية والتعليم، وفرض الديمقراطية وفق المعايير الأمريكية.

أما عن الآثار الدولية فقد زادت المقاومة العراقية من حالة السخط والكراهية العالمية للولايات المتحدة وشركائها، كما يظهر العديد من الاستطلاعات العالمية، وأدت إلى تراجع كبير في شعبية بوش وبلير، وظهرت جرأة شديدة من قبل الأوروبيين في معارضة الولايات المتحدة، خاصة فئات المثقفين ومراكز الأبحاث، وأصبح الحديث يتم بشكل علني ضد الصهيونية وإسرائيل والهيمنة الأمريكية.